11

أفريقيا : الضروريات الملحة والطوارئ

يضع هذا الفصل أفريقيا في موضع السيادة، ويجب القول أنها لا تُشكل كتلة بسيطة. واختلفت السبل إلى تحقيق الحرية، كما أن القطاعات المتتابعة ألقت بنظرات خاطفة على تنوع الشعوب في أفريقيا بين الشمال والجنوب والغرب والشرق. بيد إنه في أثناء مغادرة القوى الأوروبية وبعدها بقيت البصمة الأوروبية على تلك القارة. وكان هناك روابط ممتدة عبر القارات بين شمال وجنوب أمريكا وممتدة داخل منطقة الشرق الأوسط. وكانت العلاقات المتداخلة خلال كل هذه السنوات بمثابة الأقسام التي تتابع الأوضاع بحزم في منطقة جغرافية معينة، ولم يكن تحرير أفريقيا من العالم الأوروبي يحتل صدارة أي مرحلة رغم عدم وجود عالم أوروبي دون تحالف.

الجزائر: أنشأت وضاعت

نجد في شمال أفريقيا أكثر التجارب وحشية وقهرًا في الجزائر حيث تتعارك فرنسا باستمرار على مصالحها هناك. وفي عام 1956 تحركت القوات الفرنسية مباشرة من مصر لمحاربة الجزائر. وقال وزير الخارجية البريطاني ماكميلان، متذكرًا أوقات الحرب في الجزائر، أن الصراع قد ترك فرنسا غير متوازنة. فبمجرد أن تهزم الجزائر أو تُجلى رعاياها أو تستمل تبدأ الجولة ، حيث وصل عدد القوات المشاركة في حفظ السلام حوالي نصف

مليون. بيد أن الادعاء بأن الجزائر ما هي سوى مجرد مقاطعة فرنسية أو بريطانية يثبت استحالة المواصلة. ولذا ولفترة طويلة كانت مهمة التحضر المرتبطة بالتعذيب. ومن ناحية أخرى كانت المستوطنات والقوات العسكرية في الجزائر فزعة بشأن إرضاء فرنسا وتخشى أن تترك بمفردها. بيد أن المثقفون أعلنوا أن فرنسا دولة فقدت الثقة بنفسها، حيث كان التهديد بالحرب الأهلية وشيكًا. وفي النهاية، لم يكن هناك متفائلًا واحدًا سوى دي جول الذي كانت كلماته المبهمة منطوقة في كل من فرنسا والجزائر في تلك المرحلة وكانت لا تعني الكثير بالنسبة للمستقبل. بيد أنه في الأول من يونيه عام 1958 قد استغل القوات الكاملة وشرع في تنفيذ خطة معقدة، ووصل العنف إلى فرنسا ذاتها، وما كان منه إلا أن أعلن في خطابٍ له بتاريخ 16 نوفمبر من عام 1959 أن في خلال أربعة أعوام من وقف إطلاق النار سيكون أمام الشعب الجزائري أحد الخيارات الثلاث: الاستقلال أو التكامل أو الحكم الذاتي المرتبط ارتباطًا وثيقًا بفرنسا. وأما الأخير فكان الوضع الأكثر تأيدًا على نطاقٍ واسع في الاستفتاءات الفرنسية والجزائرية في ابريل من عام 1962. ثم شهد يوليه من نفس العام استقلال الجزائر لأول مرة في التاريخ، وظلت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية بجانب اللغة العربية، بيد أنه إلى الآن لا نجد في التحالفات المتلاحقة ما يخفي مرارة ووحشية هذا الصراع متعدد الأوجه. وأكثر من مليون منزل نزح إلى فرنسا، كما انتظر الجزائر مصيرًا اسودًا فتلك القوات التي حاربت بجانب فرنسا إما قتلت أو أقامت في مخيمات جنوب فرنسا. وسادت المرارة كل الأطراف ولم تكن لتنجلي سريعًا.

رأي بعض المفسرين في تلك الفترة أن الوحشية المحققة أخيرًا تؤكد أن الحضارة الأوروبية فاسدة حيث تعدت على الحضارات الأخرى والآن في لحظات انهزامها لا نجد سوى السخرية من قوتها المزعومة. وجاء أكثر العبارات النقدية اللاذعة من فرانز فانون، طبيب نفساني فرنسي أسود جاء من جزر المارتينيك، ففي كتابه معذبو الأرض الصادر عام 1961 والذي ترجم إلى الإنجليزية عام 1967، رسم صورة للحاضر الأوروبي وكأنه قبضة من التفكك الروحي. فقد انتهت اللعبة. بيد أن فانون كان عضوًا في الدائرة الداخلية لجبهة التحرير الوطني بالجزائر. كما إنه قد حث الدول البازغة على خلق إنسانًا

مختلفًا، ناتجًا عن حوار بين المُستعمِر والمُستعمَر. فالجزائر الناشئة أو أي دولة أخرى ناشئة قد يصبح الماضي بالنسبة لها أسطورة لا يمكن الرجوع إليها. فالعالم الثالث قد يخلق عالم لم يكن موجودًا من قبل. وقد زود الكتاب بمقدمة كتبها جين بول سارتر استطاع خلالها أن يوضح أن الرؤية الكونية تتمثل بعمق في تصور لا يمكن إلا أن يكون فرنسيًا، ومثل هذه النظرية قد تعني للجزائر في الممارسة العمليةكان شيئًا واحدًا ما تضمره لأوروبا ومن ثم فرنسا الكامنة في أوروبا، هو إلا أمرًا أخرًا.

غانا ونيجيريا: طياران أفريقيان؟

في عالم غرب أفريقيا البريطاني يمكن الساحل الذهبي"غانا" المنطقة الصغيرة التي حققت الاستقلال عام 1957 وتبعتها نيجيريا عام 1960 لكن الرابطة بينها لم تعش فترة طويلة. فالنجم الأسود المتمثل في شخص كوامي نكروما قد ظهر في غانا وقاد غانا إلى مستقبل أفضل. هو رمز أسود ظهر على علم الدولة وسمح للوحدة الأفريقية. وأصبحت الحصون على الساحل الذهبي تذكرة للأوربيين من البرتغال وهولندا والدنمارك والذين جاءوا ورحلوا في خلال 400 عام، أما الآن وفي عام 1957 انجلت بريطانيا صاحبة البصمة الأعمق والأكثر انتشارًا منذ أن أعلنت غانا مستعمرة بريطانية عام 1874. أما غرب أفريقيا فكان لديه عالمه الخارجي، الذي خلقه تجارة العبيد، تلك التجارة التي انتهت منذ قرن بيد أنها تسببت في نقل السكان إلى الكاريبي ومناطق أخرى من العالم الجديد. "العالم الأسود" كان ينتظر النقطة الحرجة التي يتحد عندها غرب أفريقيا، وغربي أوروبا، والبرازيل، والولايات المتحدة الأمريكية. بالإضافة إلى مشاركة رجال من الساحل الذهبي في الحملة على بورما عام 1943-45 وكان الأمر مفاجئة لآسيا، ثم تحقق الاستقلال. بيد أن الجنود السابقين قاموا بمسيرة وأعمال شغب في العاصمة "أكرا" في عام 1948 وكانت الحركة تعلن عن أن هناك حربًا وشيكةً. وما لبث الأمر إلا أن تحول من مجرد نخبة أفريقية صغيرة راضية بالتحول التدريجي لينفلت ويصبح مجموعة من الشباب يطالبون بالحكم الذاتي الآن. وكان قائدهم، كوام ناكروما قد أوضح رؤيته عن التحرير داخل أروقة الجامعة السوداء في بنسلفانيا، واستعلت حملة العصيان المدني ضد الامتياز

التي عرضها الأفريقيون المتحفظون واللذين طلب منهم البريطانيون كتابة مسودة دستورية جديدة ليؤدي الأمر إلى انتخابات على امتياز عالمي عام 1951. ومن ثَم جابت العربات ذات مكبرات الصوت البلاد لتجمع أكبر عدد من المشاركين، وأسفرت الانتخابات على أغلبية ساحقة مؤيدة لحزب المؤتمر الشعبي والذي أنشأ عام 1949.

أطلق صراح نكروما من السجن وطلبت منه الحكومة البريطانية تشكيل حكومة، وبعد عامين قام المجلس التشريعي بحركة للمطالبة بالاستقلال بمجرد الانتهاء من الترتيبات الدستورية. لم يرغب البريطانيون في الإسراع بالمغادرة وأن يصبح الأمر وكأن تلك الأمور تجذب الانتباه لفترة طويلة. فالاستقلال أمرًا يمنحه. وفي تلك المرحلة قد لا تكون فنون الحكومة أمرًا سيئًا، ويبدو أنه منذ عام 1953 خطة الانتقال بين الحاكم ورئيس الوزراء بدت متجانسة على الأقل ظاهريًا. ظلت ملكة بريطانيا على رأس الدولة. أما نكروما فقد دعي ليكون المخلص، فمثل هذا النمط يجعل ما يحدث يتجاوز جماليات بناء الدستور. وكان والده يعمل صائغًا ووالدته تعمل في تجارة السمك، وتلقى تعليمه الأساسي بالمدارس الكاثوليكية قبل إرساله إلى جامعة النخبة جامعة أشيموتا بآكرا. بيد أن شعارها كان "الجميع سواسية"، وكان الهدف نبيلًا تطوير في كل شئ، وكان الأمثل في ثقافتين فقد كانت أرقى مدرسة في الدولة.

وتتلمذ نوكروما بالمدرسة عامين ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحق بجامعة لونكلن في بنسلفانيا عام 1935 وتخرج بعد دراسة علم الفلسفة وعلم التوحيد والتعليم. كانت مؤسسة لنكولن مؤسسة سوداء أتى طلابها من مناطق الفصل الاجتماعي في جنوب أفريقيا، كانوا يتساءلون عن انتماءاتهم.

منح ماركوس جرافي، مؤسس المؤسسة العالمية لتحسين النجرو عام 1914 والمولود في جامايكا، نوكروما الإجابة ليتأملها "ضرورة عودة السود إلى أفريقيا"، فقد أنشأ جرافي خط ملاحي سمي بلاك ستار ليسهل الانتقال داخل العالم الأفريقي، وطرد جيش أفريقي قوى الاستعمار الأوروبي، لم يكن حشد هذا العدد سهلًا فقد جمعه من السجن الأمريكي حيث قضى فترة عقوبته "في أغلب الظن كان سجينًا سياسيًا". كانت حياته العملية غير

تقليدية حيث تنقل من موقع إلى أخر. دفن في لندن عام 1940 ثم استخرج جثمانه وأعيد في انتصار إلى جامايكا بعد سنوات من استقلال الجزيرة عام 1962.

جاءت قصيدة جرافي عام 1924 " الولايات المتحدة الأفريقية" لتوقظ نوكروما، حيث إنه النجم الأسود في علم غانا. أقام نوكروما علاقات طويلة مع جيمز المولد في ترينيداد والذي كان يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة والمتورط في وضع نظريات في الماركسية/ التروتسكية (والطائفة المصاحبة). قام جيمز بتقديم نكروما لجورج بادمور صديقه من ترينيداد والذي كان يدير ديوان الخدمة الأفريقي الدولي في لندن بعد فترة وجيزة قضاها في الاتحاد السوفيتي.

نكروما الذي حضر المؤتمر الأفريقي في مانشستر عام 1945، لم يعد الرجل الشاب الذي ترك جامعة أشيموتا عام 1930. وبالنظر إلى خلفية التغير الخاصة بنكروما لا يمكن أن تتوقف عند حدود غانا. وفي ديسمبر عام 1958 كان مؤتمر الشعب الأفريقي في أكرا. ولم يكن هناك سوى ثمانية دول أفريقية غير مستقرة. كما أن المبعوثين عبر القارات ندبت الطريق حيث أنكرت الإمبريالية حقوق الإنسان الأساسية في أفريقيا، ويجب توقف استغلال الأفارقة فورًا، وأسفرت عن نتائج عديدة من خلال التعهد بالدعم الكامل لكل من يحارب لأجل الحرية في أفريقيا، إما بالوسائل السلمية أو العنيفة.

وكانت الأمانة دائمًا هي المضي قدمًا بأعمال المؤتمر. وبعد عامين عندما أصبحت غانا جمهورية تحت رئاسة نكروما، ودستور يمنحها الانضمام إلى اتحاد الدول الأفريقي. ثم سيطرت الوحدة الأفريقية على تفكير نكروما وبدأ في تنفيذ رؤيته عبر العالم. ولم تعد حقوق غانا واضحة وأصبح دوره المخلص ثقيلًا، وفي عام 1964 رأى أنه من الحكمة أن يصبح رئيسًا للحزب وللبلاد وفي فبراير عام 1966 وفي أثناء زيارته لشمال فيتنام والصين تعرض لانقلاب عسكريًا ولم يعد لغانا بل استمر في تعقب حلمه بمنفاه في غينيا. وأدعى أن المجتمع الأفريقي التقليدي قد أسس على مبادئ المساواة، واستطاع أن يكتب بطلاقة عن الحاجة للعمل بطريقة علمية على تحقيق سياسات اجتماعية واقتصادية، كما يجب ضمان الفرص المتساوية لكل فرد فمثل هذا الخطاب يعطل العلاقات بالواقع السياسي

والاجتماعي والذي عاشته غانا تحت حكمه الدكتاتوري والذي عبرت عنه خلال عشرات السنوات من الاستقلال. والمفارقة في تولي نكروما منصبه الرسمي هي أن الشعب تمنى نجاح مصالحة الخاصة ورغم هذا كان نكروما هو من استطاع كسر القيود. فنكروما هو رجل الألفية الأفريقي أحيت ذكراه لاحقًا من خلال نصب تذكاري وحديقة في العاصمة الغانية.

بيد أن نيجيريا كان لها مسارًا أخرًا حيث صرح مارجري بيرهام، كاتب السيرة البريطاني، لجمهور البي بي سي في انجلترا عام 1963 أن نيجيريا "ربوة ناجحة في الشؤون العالمية" ستصبح قيمة في سباق الكرامة الأفريقي. ولم يكن أمر الوحدة بين الدول الأكثر كثافة سكانية أمرًا مضمونًا بل كانًا شرطًا أساسيًا في تحقيقه هو انضمام نيجيريا لتصبح "صوت أفريقيا للعالم".

وظهر نامدي أزيكيوي في الساحل الذهبي في أكرا عام 1937 شابًا ذكيًا تخرج في مدرسة ميثودية في لاجوس ليؤسس صحيفة ويحررها باسم "دليل غرب أفريقيا". كان الرجل الذي أصبح بعد ذلك أول حاكم عام لنيجيريا بعد استقلالها في أكتوبر عام 1960 ثم بعد ثلاث سنوات أول رئيس نيجيري بعد إعلانها جمهورية. كان رجلًا عالميًا فقد مضى سنوات هو أيضًا في الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على شهادات من كولومبيا وبنسلفانيا كما عمل محاضرًا في جامعة لنكولن عام 1943، ذهب بصحبة صحفيين من غرب أفريقيا لبدء عرض قضية الاستقلال في لندن، وكان لديهم خطة تصور تشمل العشرين عامًا. لكن الحكومة البريطانية لم تقبل الجدول الزمني رغم أنه كان يعكس الواقع. وبالعام التالي كان قد أنشأ هو وآخرون مجلس قومي لنيجيربا والكاميرون، وكان الأمر مفاجئ بيد أن غانا تحولت لتصبح القائد. أما تلك الحركة التي بدأها زيك طمحت لتكون حركة وطنية، لكن ماذا تعنى الكلمة في نيجيريا؟

البريطانيون بوصفهم دخلاء من خارج القارة أتوا إلى الساحل وتحركوا تجاه الشمال من مستعمرتهم لاجوس، لم يغزوا الكيان المثير المسمى نيجيريا. وكان من الطبيعي أن تتحرك القوى والنفوذ إلى الجنوب. إلا أن نيجيريا هي ملتقى الشمال والجنوب ولا يمكن

أن يجزم أحد بموقع الملتقى تحديدًا. ولم يكن الحكم البريطاني ليطمس الجدود التاريخية، فكان يلاحظ في ظروف معينة أن الحكومة التقليدية هي الطريقة الوحيدة لحكم المستعمر. وبافتراض أن نيجيريا قد تستقل تبقى المشكلة أن كل من الهيكل البريطاني أم النيجيري سينجح. والحقيقة المأسوية في أن نيجيريا عاشت تحت حكم تحالف لأكثر من نصف القرن خلقت شعورًا محددًا للنيجيريين ولكن في دولة ذات 250 لغة محلية لا يبدو في الأفق دولة موحدة وفي الواقع لم تكن حتى دولة واحدة. وأكثر من مكان في غرب أفريقيا أصبح حجم التماسك للمجتمع اللغوي قد لا يسمح بإقامة دول قومية بالمفهوم الأوروبي. بيد أن الهوسافولاني في الشمال والايجبو في الجنوب الشرقي واليوربا في الجنوب الغربي يمثل ثلثي عدد السكان، أما الثلث الآخر فمتنوع التكوين. فكان لا مفر من التخطيط الخاص بالقطاعات الشرقية والغربية والشمالية. كما أن القطاع الشمالي كان يساوي في تعداده السكاني القطاعان الآخران مجتمعين، حيث ازداد حجمه بعد قرار اتحاد شمالي الكاميرون بنيجيريا. وقد يكون من الصعب على الحكومة الفيدرالية العمل بكفاءة جنبًا إلى جنب مع الثلاث حكومات. أما الدساتير فمن الممكن أن تصف انقسام القوى لكن القطاعات القوية قد تتجاهلها، فأيما كانت النظريات، الأحزاب السياسية لديها المناطق القوية الأهم من قواعد نيجيريا. قد تعمل نيجيريا على أسس التحالف والانحياز بين قادة المناطق لكن المناطق ذاتها قد تكون أكثر بساطة من أن تنجو، سيتطلب الأمر انقسامات من شأنها مواجهة تطلعات مجموعات بعينها. وربما تأخذ أكبر المناطق وأضعفها قوة حكومية مركزية (مفترضًا أن يكون مرغوبًا)، ولكن يفتح الأبواب إلى التكاثر غير المنتهي. خلال فترة الخمسينيات عملت المؤتمرات الدستورية خلال هذه القضايا، الفساد والتهديد باستخدام العنف قد يؤدي دورًا في تحديد النتائج. الخبراء في أمور الاتحاد في هذه المرحلة كان يمكن الحصول عليها في وزارة المستعمرات في لندن، في وقت من الأوقات عندما رأت الحكومات البريطانية أي اقتراح بخصوص الاتحاد الأوروبي بارتياب عميق. فالأراضي الصغيرة والأعراق المختلطة قد تجد صعوبة في أن تنجو بنفسها، كما أن الاتحاد في هذه الظروف ذات معنى منطقيًا، فضلًا عن وجود أملًا أن تجد الاتحادات مساحة صغيرة لاستمرار التسهيلات البريطانية أيضًا.

بيد أن تلك الاعتبارات فد تطبق في منطقة الخليج، والكاريبي، وجنوب الجزيرة العربية، ومالايا/ سنغافورة. ولفترة ما في أواخر الخمسينيات وجد نوع من الاتحادات في جزر الهند الغربية لتربط الجزر الصغيرة في مجموعات ليوارد ويندوارد مع جمايكا، وترينيداد وباربادوس. بيد أن الترتيبات أفسدها الجدل بشأن الميزانية والحكومة المركزية.

شهد سبتمبر عام 1961 استفتاءًا تبعه إعلان انسحاب جمايكا، ووصف ماكلود وزير المستعمرات البريطاني في ذلك الوقت هذا الانفصال بأنه ضربة موجعة إلى التنوير في الرأي العام في الهند الغربية منذ عقود. لم يكن هذا البرنامج هو البرنامج الفاشل الوحيد، ولذلك لم يكن الأمر فأل حسن لمستقبل نيجيريا. بيد أنها أثبتت أن الخلافات العرقية الإقليمية مستوطنة. شهدت منطقة غربي نيجيريا صراعات قوية بين القوى التقدمية والتقليدية في مجتمع يوربا والذي عبر عن التنافس بين رؤساء آولوو وأكنيتا. كما كان هناك جدال حول التوازن السكاني بحسب التعداد الوطني لعام 1962. ولم يشارك في أول انتخابات اتحادية عامة في ديسمبر عام 1964 سوى 4 مليون من مجموع 15 مليون ناخب، أما التوازن العرقي داخل الجيش، مثلها كمثل أي مؤسسة أخرى، موضوعًا للخلاف. وفي يناير من عام 1966 جث صغار الضباط الجنرال إيرونسي وساندرست لتدريب إيجبو لقيادة التمرد. وتم اغتيال رؤساء الاتحاد الغربي والشمالي، وسلم مجلس الوزراء الاتحادي مقاليد السلطة للجيش.

وبقدر ما كان هناك نية واضحة في هذه المرحلة، كانت لتحويل نيجيريا إلى دولة موحدة. فالنظام الاتحادي القديم بنظامه الذي عفي عنها الزمن يجب أن يمحى. ذبح شعب إيجبو الذي كان يعيش في الشمال بالآلاف في أحداث يناير وعرفت بانقلاب ايجبو، وحدث انقلابًا عسكريًا في يوليو عام 1966 قتل ايرونسي وعاد النظام الفيدرالي وأصبحت الدولة على أعتاب حرب أهلية.

في السنغال وساحل العاج وغينيا : الأصول الزنجية.

القادة الناطقون بالفرنسية في عرب أفريقيا اختلفت أصولهم عن الرجال الجدد الناطقون بالانجليزية في عرب أفريقيا. فقد كان نكروما يجهز نفسه في منتصف الثلاثينيات

في عالم أمريكا الأسود بينما كان الرئيس المستقبلي للسنغال يصدر مجلة في السوربون في باريس باسم "الطالب الأسود".

ولد ليوبولد سينجور عام 1906، كان مزارع كاثوليكي من قبيلة أقلية عاشت في دولة إسلامية كبيرة، بدأ حياته سعيًا وراء تحقيق الحضارة العالمية في مدرسة يديرها المبشرون الفرنسيون. واستهويته فكرة أن يصبح قسيسًا لكن اهتماماتهم لم تكن تناسبه(اعترض على أن يتسم الأفارقة بالوحشية). وبدأ حياته في باريس بعد الانتهاء من دراسته في مدرسة الليسية الفرنسية في داكار حيث كان الطالب الأسود الوحيد، فكر هو وشباب آخرون من مناطق ناطقة بالفرنسية في تطوير الهوية الخاصة بالزنوج. ثم بدأ بكتابة الشعر ووجد نفسه بعد ذلك يكتب داخل سجن ألماني في مخيمات الحرب-عبر عن ذاته بالمقاومة الفرنسية. وفي عام 1945 أصبح عضوًا في الجمعية التأسيسية الفرنسية، نائبًا عن السنغال، دعي لتصحيح اللغة للدستور الفرنسي الجديد، وهي مهمة نجح في أدائها سنوات عديدة بعد ذلك، إلا أنه كان أكثر من مجرد فرنسيًا، كان عقله يعيده إلى موطنه الأصلي في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي حيث ساعد في تنظيم "الاتحاد التقدمي".

طالب الجنود الأفارقة السابقين منحة التقاعد من الحكومة الفرنسية، كما كان مقررًا، وعلى العكس لم يكن لديهم الاستعداد لأن يساقوا كالغنم مثل أسلافهم الذين شاركوا في الحرب الأخيرة، كما تركوا فرنسا تشارك في الحرب بمفردها وهو أيضًا عكس مع فعلا أسلافهم. وكان الحل السياسي الذي سعى إليه سنجور والي سكن عقله الباطن هو أن تدير السنغال أمورها ولكن باستمرار العلاقات القريبة بفرنسا. بيد أنه كان شابًا فرنسيًا "استيعابيًا" رافضًا لأبسط صور الاستيعاب. شهد عام 1961 انتحابه رئيسًا للجمهورية، وهو نفس عام صدور ديوانه الشعري وترشحه لجائزة نوبل في الأدب. وفكر في تطوير الزنوج من خلال المناسبات الثقافية مثل المهرجان الدولي لفنون الزنوج في دكار عام 1966 وبالتأكيد مثل هذا الحدث وضع السنغال على الخريطة، لكنه ساهم في بناء نظام حماية باهظ الثمن. وفي دولة يمثل الفول السوداني بها جانبًا أساسيًا باقتصادها بدا ابن مزارع الفول السوداني ناسيًا أصوله. وأصبح هذا المعجب بالديمقراطية الفرنسية مخول له بقيادة الأمور.

في عام 1967 كان الحزب القانوني الوحيد هو حزب سينجور، وفي ابريل من عام 1957 زار نكروما ساحل العاج الجوار مع رجل هو رئيس جمعيتها الاقليمى وعضو في مجلس الوزراء تحت قيادة موليه في باريس.

فرض فيليكي هاوبوت بونجي، مواليد عام 1905، قوانينه المختلفة. بيد أن إصرار نوكروما على أن كل قوى المستعمرات الأوروبية عليها إعلان استقلالها جعلته يصر على أن العلاقة بين فرنسا وأفريقيا كانت علاقة خاصة. وأصبح الاستقلال الداخلي هو كلمة القرن، حيث كان المجتمع الفرنساوي الأفريقي يستخدم الكلمات : الحرية، الاستقلال، والمساواة والأخوة.

ناقش الرجلان استقلال العلاقات الاقتصادية والسياسية. وأقترح هوفويت بوانبي أن اللقاء قد يحدد لعقود من صاحب القرار الصائب، ومن ثم لم يحدث هذا اللقاء.

وألزم بوينجي المتآمرين اللذين تخلوا عن نكروما بقاعدة عملياتهم. وفي عام 1967 لم يكن لدية أي شكوك أنه قد سلك الطريق السليم أو ربما أثبت ببساطة أنه الديكتاتور الأذكى. وفي عام 1958 قبل "الاندماج" التي عرضها عليه دي جول حتى بعد المزيد من التحول نحو الاستقلال عام 1960 استمر الرابط الفرنسي ممثلًا في القوات الفرنسية والمستشارين الفرنسيين في قلب الجمهورية.

أحمد سيكو توري، ولد عام 1922، وكان أصغر سنًا من سائر القادة. وسرعان ما تبين من مساوئ الإندماج ورفضه عام 1958. وحقق انجازًا كبيرًا من خلال النشاط النقابي،كما تم انتخابه عام 1956 نائبًا في الجمعية الوطنية الفرنسية. ثم جاء انسحاب فرنسا من دولته مفاجئًا.

شرع توريه برنامج محلي مستمد من الماركسية، وكان حكم الحزب الواحد، وشارك نوكروما الوضع دوليًا ونصبه بعد عزله مساعد رئيس غينيا. أصبحت كوناكري قاعدة لكل جداول الأعمال الأفريقية. بيد أن الدولة قد دفعت للإفلاس. ولذلك كان التصارع،

مجازًا وحرفيًا، من هذه السمات وغيرها من التطورات في غرب أفريقيا. أما أنماط المؤسسة الاجتماعية فتختلف اختلافًا جوهريًا، وأيدت المجموعات العرقية واللغوية من الحدود (على سبيل المثال، حالة شعب آكان غانا وساحل العاج).

الكونغو: كارثة تختمر

جاء جل اتحادات فرنسيان إفريقيا الاستوائية وإفريقيا الغربية- ليترك قدر من الشك ليغيم على الوحدات اللاحقة. كما انتقد سنجور بلقنة وتمنى اتحاد دول الفرانكفون، بينما أطلق عليه البعض "الامبريالية السنغالية"، لم يكن لهوفويت بواني أي منها. ولذلك كان يوجد مشكلات لم تحل ومتشابكة حيث تنازعت الدول الجديدة لإيجاد هيكل وهوية دائمة. وما تحقق لدول الفرانكون تحقق أيضًا في المستعمرات البريطانية سيراليون، وجامبيا، والكونغو. وتكتمل كارثة دولة من أصغر الدول في أوروبا، حيث وقعت في معركة المناطق الناطقة باللغات الفرنسية والفلمنكية والتي تحكم أكبر الأراضي الأفريقية وهي الكونغو. قبل ثلاثة أشهر من استقلال نيجيريا لكن التناقض كبيرًا في الترتيبات، كلاهما على الجانبين الأفريقي والأوروبي. وفي منتصف الخمسينيات نجحت الحكومة البلجيكية في تسجيل ما عزمت بريطانيا وفرنسا على فعله.

أعلن شارل دي جول عرضه لأفريقيا الفرنسية عام 1958 في برازفيل الفرنسية عبر النهر من يوبولدفيل(كينشاسا حاليًا) العاصمة الكنغولية.

بارتيس لومومبا، مدير مصنع الجعة والبالغ من العمر 33 عامًا، والذي حضر مؤتمر نكروما آكرا لعموم أفريقيا، ومؤسس الحركة الكونغولية الوطنية. كما إنه قدم عريضة للبلجيكيين راغبًا الاستقلال، بدأ حياته المهنية كمساعد لمدير مكتب بريد بعد إنهاء دراسته بمدارس البروتستانت والكاثوليك. بيد أن الطريق إلى الوظيفة الرسمية أمرًا ثانويًا بالنسبة له وفي شروط الالتزام الأفريقية كان ما تجهز له الإدارة البلجيكية في الكونغو.

كما أن توفير التعليم والرعاية الصحية مع مساعدة المبشرين احدث تغيرًا ولكن على مستوى معين. ولم يتم تحضير أي من الكوادر لتحمل المسئوليات التنفيذية الرئيسية، وعاشت الإدارة البلغارية الخوف مما قد يحدث ما لم تشير الحكومة في بروكسيل بالتغيير.

وأعلن بيان يناير عام 1959 أن بلغاريا انتوت تطبيق الديمقراطية في الكنغو والتي تقرر استقلالها. وكانت الفرضية القاتلة هي أن يكون هذا الأمر لا يزال عملية تدريجية. غير أن فكرة تحقيق الديمقراطية، على نطاق واسع دون تجربة انتخابية تعد فكرة طموحة. ولم يكن سوى مجرد مؤتمر في بروكسل في بداية عام 1960 أطلقته الحكومة البلغارية لتحقيق مطلب حتمي وهو تحقيق الاستقلال، وقد مُنح على الفور. ورغم هذا ظل البلجيكيون على صلة في الجيش على سبيل المثال. ولم يكن للضابط أن يترقى لمنصب أعلى بسهولة ولذا تمردوا. والأحداث التي لم تدرس تفصيليًا خرجت عن السيطرة. وجاءت الحركات التي من الممكن أن يطلق عليها لفظ وطنية لكنها قد لا تعني أي أهمية.

جاء كويس كابيدا تسومبي في كاتنجا التي كانت أغنى محافظات الكونغو، ليطلب المساعدة البلجيكية ويعلن الاستقلال. وصلت القوات البلجيكية ومنحته الدعم الوطني الكامل. أما لومومبا الذي اكتسب حزبه أكبر عدد من المقاعد في الانتخابات، أصبح بعد ذلك رئيس الوزراء دون اكتساح رغم أنه اشتم رائحة مؤامرة كاتنجا البلجيكية، الذي لم يكن يريد الاتحاد. أما الرئيس جوزيف كازافوبو كان أكثر تعاطفًا.

بيد أن الحكومة البلجيكية تبحث الآن لتحقيق الكمغو الفيدرالية، وجاء لومومبا ليزيح القاعدة الاقتصادية، واختلف كل من لومومبا وكازافوبو إلا أن الأخير أزاح الأول ولاعتبارات عدة لما كان يحدث في ذلك الوقت ظل تشومبي مجرد دمية بين شركات التعدين التي أبقت كاتانجا حائرًا.

واشتعل التوتر العرقي، وبات من الصعب معرفة مكمن القوى في البلد حيث أسس كل من نومومبا وكازافوبا مدنًا مختلفة لكل منهما. وأصبح من الصعب تحديد الحكومة التشريعية ولم يكن واضحًا ما إذا كانت القوات الكونغولية باستطاعتها هزيمة قوات كاتانجا ومؤيديه. وفي هذا الوضع المحير وعى داغ أمرشولد، الأمين العام للأمم المتحدة، لدور قوات الأمم المتحدة والذي كان لوموبا قد طلبها. وقوات غير غربية ضخمة لقمع الانفصال كشفت أن الأمم المتحدة لم تعجزها القوى العظمى. فقد وصلت قوات الأمم المتحدة بوصفها قوات حفظ السلام بيد أنه كان من الواضح أن أمرشولد قد استخدمها

لقمع انفصال قوات كاتانجا. ومن ناحية أخرى دعى لوموبو الاتحاد السوفيتي لإرسال طائرات لدعمه ضد كاتانجا، وجاء التقرير الأمريكي البلجيكي الذي أدى لتدمير لوموبا. ألقي القبض عليه في أكتوبر عام 1960 واغتيل في فبراير عام 1961، واستمرت الكارثة بحدةٍ حتى أواخر عام 1964 عندما نالت الكونغو في 30 من يونيو عام 1960 أراضيها كاملة. وفي أثناء تلك الفترة استمرت المناورات الملتوية وتصاعد العنف واستمر القتل. بيد أن يد القوى العظمى كانت في بعض الأحيان مرئية ومشتبه بها باستمرار. أما الجنرال جوزيف موبوتو فقد شجعته الولايات المتحدة الأمريكية لتأسيس جيش والتركيز على الوحدة الوطنية. واستمر موبوتو طامعًا في السلطة لنفسه. وانتهت أربعة سنوات مضطربة أو هذا ما بدا للمتفائلين، وألقي باللوم على جميع الأطراف. فالحكومة البلغارية تصرفت باندفاع بخبث؛ لومومبا كان متلهفًا متهورًا؛ الأمم المتحدة ما كان منها إلا أن زادت الطين بله؛ موسكو وواشنطن بكل الطرق لم يستفيدا من الموقف. وهكذا ظهر أمران الأول أن إدارة الكونغو مهمة صعبة، والخلافات القبلية والمسافات الداخلية ضخمة كما أن ضعف الاتصالات كان من الأمور التي تعانيها كل الدول الحديثة

أثيوبيا واريتريا وكينيا: من المعضلات.

كانت كل من مناطق شرقي أفريقيا وشمال غربي أفريقا تمثل مزيج من الحكومات غير العادية وغير مستقرة وذات منازعات عرقية.

بيد أن إثيوبيا كانت مميزة في أفريقيا، كذا إمبراطورها" هيلا سيلاسي "من مواليد 1892 كان رمزًا عالميا في تلك المرحلة. وشهد عام 1936 خطابه الموجه لجامعة الأمم بلغة الأم الأمهرية احتجاجًا على الغزو الايطالي لأثيوبيا. كما قضى سنوات المنفى في المدينة الانجليزية الراقية باث، حيث كان يقرأ كتبه المفضلة عن التاريخ الدبلوماسي. وبعد أن هزمت التحالفات ايطاليا عاد إلى وطنه منتصرًا. كانت دولته محتلة لمدة خمس سنوات دامية. منح استقلال إثيوبيا لفترة طويلة وضعًا مميزًا، وآن للإمبراطور الاستفادة من دراسته لتاريخ الدبلوماسية، حيث كانت دولته عضوًا مؤسسًا للأمم المتحدة. وقد اعترضت لأسباب تاريخية واضحة منها ارتباطها بالأمن الجماعي من خلال إرسال جنود

لمشاركة قوات الأمن في الحرب في كوريا.

استطاع جذب مقر لجنة للأمم المتحدة الاقتصادية ليكون في أفريقيا. وقد استضاف عام 1960 المؤتمر الثاني لاستقلال الدول الأفريقية. ولم تنفي هذه المظاهر من "الحداثة" حقيقة أن الإمبراطور يرأس حكومة "عتيقة". ثم حدث تطورًا أخرًا. حيث وجد الإمبراطور نفسه خارج المنطقة. بيد أن معتنقي المسيحية في جزر المسيحية وجزر الهند الغربية رأوا فيه شخصية المسيح الذي سيقود أفريقيا إلى الحرية. وزار الإمبراطور جاميكا عام 1966 ورأي مئات الآلاف في انتظاره ولم يظهر أي إشارة رغم تمنيه لقيادتهم إلى موطنهم الأصلي. بيد أن أثيوبيا كانت تطمح في إمبراطورية خاصة في القرن الإفريقي. أما إريتريا فأصبحت مقاطعة عام 1962، ذات نظام فيدرالي نظري بعد إجلاء البريطانيين. كانت الأراضي الصومالية تابعة لبريطانيا لكنها أصبحت فيما بعد تدير أرض الصومال الايطالي. جلب التغير الإداري صراعات إريترية.كما وضعت إثيوبيا أيضًا سيطرتها على إقليم أوغاندا، حيث استوطن قطاع عريض من الصوماليين، وهو أمر تنازع عليه بضراوة الصوماليين المستقلون حديثًا. فضلًا عن أن الصومال قد طالبت بالإقليم شمالي كينيا الذي يسكنه أضخم تعداد سكاني من الصوماليين. بيد أن الحل العسكري في بعض الأوقات بدا وكأنه هو الأمثل. كون كل من كينيا وإثيوبيا اتفاقية دفاع باعتبار الصومال مصدر التهديد، وتأسست الحكومة الصومالية غير المستقرة ورأت أنها محاطة بالتهديدات. وطرحت أفكار مختلفة من الاتحاد كوسيلة لاحتواء النزاعات الحدودية وتعزيز رؤية مشتركة، لكنها تلاشت. ربما كان من الصعب التحام الأراضي الموجودة لتكون دولًا.

أما كينيا التي استقلت عام 1963 احتوت على مجتمعات عرقية مختلفة والتي قد تنقسم إلى مجموعتي البانتو والنيلية. احتلت مجموعات الرعاة البدوية المختلفة تمامًا عن المجتمعات التي تشاركها في الحدود منطقة الشمال الشرقي. وبدأت حالة الطوارئ في الماوماو عام 1952 واستمرت حتى 1960. وأقسم كيكويو اليمين للمحاربة من أجل الأراضي التي استولى عليها الأوروبيون. ثم تبع ذلك صراع متعدد الأطراف في كينيا وتورط فيه المستوطنون البيض اللذين بلغت نسبتهم أقل من واحد بالمائة من تعداد

السكان، والأسيويون (حوالي اثنان بالمائة)، وأيضًا الموالين لكيكويو، والإرهابيين التابعين لكيكويو في ماوماو، وغير الموالين لكيكويو، وأرسلت القوات البريطانية لتسوية الوضع. بيد أن المشهد كان قبيحًا، أعرب نهرو عن المشهد قائلًا أنها لم تكن حربًا لأجل الحرية.

حتى هؤلاء اللذين اعتقدوا أنها حربًا للحرية لم يرتاحوا لصورة أفريقيا التي احتلها الماوماو. كانت عقوبة جون كنياتا مثيرة للجدل بشدةٍ، حيث أنه قد ألقي القبض عليه وحُكم وسجن بتهمة حلف اليمين ولا يمكن أن يجزم أحد بمكان وقوفه، وأطلق سراحه بينما وصل مسار كنينا المتخبط إلى نهايته لكن ظل انقسام وجهات النظر بشأنه مستمرًا. وسواء استطاع من خلال منصبه الارتقاء على تلك الانقسامات الواضحة وسواء كان بالأفق ثمة مستقبل للأوربيين والآسيويين في كينيا، بقي أن نرى ما قد يحدث. وكان من المشكوك فيه أن يصبح "قرن أفريقيا" أمنًا.

أفريقيا الوسطى: الانفصال.

في مبتهل عام 1960 قضى رئيس الوزراء البريطاني، ماكميلان ما يقرب من شهر متجولًا في قارة أفريقيا. كانت مناقشاته الأولى مع الرائد نكروما في آكرا، ثم انتقل إلى نيجيريا حيث الاستقلال يبعد شهرًا واحدًا. وعاد إلى لندن وعقد المؤتمر الخاص بمستقبل كينيا أخيرًا. ومن بريطانيا الصومالية الأرض(التي قد تضم الصومال التي كانت تحت حكم ايطاليا) الكائنة شمال شرق سيراليون في الغرب، قد تُجلى بريطانيا من تلك الدول الأفريقية في خلال نفس العام. في سيراليون أو الصومال فقد بدا احتمال وجود "حكمًا رشيدًا" أمرًا مشكوكًا فيه وسواء كان هناك هيكلًا يوضح هذا أم لا. فكل من فريتاون ومقديشيو لم تكن هناك نظرة حانية للمناطق النائية بهاتين العاصمتين.

أما المرحلة التالية من زيارة ماكميلان فقد أخذه سالسبري في جنوبي روديسا "وأسمها الحالي هراري كرمت" واحد من أسلافه، فقد أصبحت الآن مدينة خلابة بعد إزالة الحصن الرائد قبل سبعين عامًا، أصبح الوضع الدستوري معقد دائمًا ومثيرًا للشكوك. ومنذ عام 1953 كانت الأراضي الثلاث لشمالي وجنوبي روديسا ونيزيلاند قد تجمعت معًا في اتحاد "أفريقيا الوسطى" مع استمرار ارتكاز الحكومة والبرلمان على قمة

الإدارات والمجالس الإقليمية، بيد أن الأراضي الشمالية ظلت تحت الحماية البريطانية. أما جنوبي روديسا فقد مارست الحكم الذاتي لعدة عقود. فقد مارس البيض الحكم الذاتي .وإبان وصول ماكميلان كان السخط الأفريقي للترتيبات واضحًا. هل كان يجب على الاتحادات أن تمنح الاستقلال على الأسس الحالية, أو ينفصل حكم السود المتمثل في الأحزاب الثلاثة؟ بل هل يجب أن ينسحب جنوبي روديسا الذي يحكمه البيض؟ لم يكن العنف بعيدًا عن المشهد.

عين ماكميلان لجنة عام 1960برئاسة اللورد مانكتون لإيجاد حلًا، وقادت التسويات التي عرضها خلال السنوات القليلة التابعة للأحداث إلى انعقاد مؤتمرات أكثر لتسوية الأمور بشأن القرارات الخاصة بالدوائر الاتحادية والإقليمية. وحُصرت انجلترا، فلم تكن لتضمن الاستقلال دون حقوق الأغلبية للأفارقة لكن هذا لن يرضي جمهور الناخبين من البيض في جنوبي روديسا اللذين يدعمون قادتها،فانهار الاتحاد بنهاية عام 1963.

استقلت نياسلاند وشمالي روديسا عام 1964 ثم ملاوي وزامبيا، وأصبحت الحكومة في سالسبوري بقيادة إيان سميث الذي أعلن استقلاله عام 1965. وفي منتصف الستينيات من القرن الماضي تغيرت أفريقيا الوسطى البريطانية ولكن ليس كليًا، ونشب صراعًا قويًا، حيث أخذت الدول الجديد أسماء أخرى ولكن كيف لقادتهم تشكيل مجتمعاتهم في ضوء الرؤية الدولية الجديدة لهم، لم يكن الأمر قابلًا للتنبؤ. وتمتعت زامبيا بوجود مدينة كابربلت (حزام النحاس) بينما لم تكن ملاوي تحتوي على أي معادن، ولم يكن لأي من لوسكا عاصمة زامبيا أو بلانتير المدينة الرائدة في ملاوي المدنية التي امتلكنها ساليسبوري. عاد هاستينج باندا من مواليد عام 1898 إلى نياسلاند عام 1958 والذي كان يعيش بالخارج منذ عام 1925. وقد ادخر مالًا ليستطيع دراسة علم الإنسان والتاريخ والطب في المؤسسات المختلفة بالولايات المتحدة الأمريكية. وذهب في وقت الحرب إلى بريطانيا لدراسة الطب بجامعة ادنبره ثم مارسه كطبيب في أماكن مختلفة من انجلترا وسكوتلاندا. ومثل مؤتمر نيسلاند الأفريقي في مانشستر عام 1945 وظل على اتصال بالشخصيات السياسية النشطة في حكومة الوصايا. ثم عاد إلى إفريقيا لقيادة القضية

الأفريقية، واستخدم لغته الأم "الشيوا" بعد فترة الغياب الطويلة ،كانت لغته ضعيفة جدًا بيد أنها أصبت أنه متحدث لبق. كما أن الدعم الذي ناله بالإضافة إلى تهديد العنف، دعا إلى استقلال ملاوي.

وعلى النقيض تمامًا كان كينيث كاوندا الذي ولد عام 1924، قد مكث بموطنه قبل أن يلقي بنفسه إلى العالم المنقسم الخاص بالمؤسسات السياسية. وكان كاوندا يعمل مدرسًا. وأسس المجلس القومي للأفارقة الزمبيين الذي تحول بعد ذلك إلى حزب الاستقلال الوطني المتحد. فكلٍ من باندا وكاوندا قد قضى فترة في السجن، وكلاهما تأثر في شبابه بالكنيسة الاسكتلندية، كان والد كاوندا وزير المشيخية، فتأثير الكنائس والتعليم والمجالات الأخرى ظل قويًا. كما أن الرجلان قد حافظا على مكانة دولتيهما في الكومنولث، فمثل تلك الروابط تعود بالإشارة إلى أوروبا وأمريكا. بيد أن المهمة السريعة كانت تقوية مالاوي وزامبيا بحسب المفاهيم "الوطنية" حيث تستخدم اللغة للحد من الحواجز، ثم بعد ذلك ظهر ما يدعو للسخرية وهو اتهام كاوندا بأنه لم يكن زامبيًا بالكلية (انتقل أباه من نيسالاند). بيد أن كل من الرجلين السود تواجدا في الظل "المبهم" للبيض وقاد الأوربيون النظام في الجنوب إلى حيث تبنى قادتهم السلوك والسياسات المتضاربة.

جنوب أفريقيا: تقاوم الرياح

تحدث ماكميلان في البرلمان الأفريقي في كابتاون موجهًا حديثة لأعضاء البرلمان قائلًا أن رياح التغير كانت تهب عبر القارة وأنه يجب أن يكون الرد هو تبنى "سياستنا الوطنية". وسُجل المقصود من هذا الكلام. ماذا ستكون السياسة الوطنية لجنوب أفريقيا رغم إثارة القضايا المعقدة والمشحونة. قد يتخلى البريطانيون عن "المهمة الامبريالية" والرجوع إلى قاعدتهم المعزولة لكن الكتلة الأكبر من المجتمعين البيض اللذين حكما في جنوب أفريقيا أصرا على البقاء في "موطنهم".

الحكومة التي هيمن عليها الأفريكان لم تثق في أن الحكمة قد تحل مثل هذه الأزمات بل كان الاستغناء بزيارة السياسيين البريطانيين. فالأفريكان اللذين قرروا وربما وجدوا لقضيتهم متعاطفين أكثر من الناطقين بالانجليزية، فالحضارة البيضاء كانت ما يشترك فيه

البيض. وفي غضون أسابيع من وصول رسالة ماكميلان اكتسبت إلحاحًا جديدًا

نظم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي معارضة ضد القانون الذي أعدته الحكومة التوسعية. ففي المستعمرة السوداء شاربفيل، جنوب جوهانسبرج، أطلقت الشرطة النار على هؤلاء المعارضين وقتلت 69 شخص وجُرِح حوالي 200. وفشلت محاولة اغتيال فيرورد في ابريل، فضلًا عن أن البعض اعتقد أن الثورة قادمة. بيد أن الحكومة كانت عازمة على قمع المعارضة وبدت واثقة من النجاح. كان من المنتظر أن يكون هناك "إدانة دولية لكن العالم كان كيانًا ضعيفًا. وامتزجت الروابط الخارجية والقوى الداخلية، مما زاد من صعوبة احتمال الوصول لنتيجة مقبولة للجميع في جنوب أفريقيا. التطور المنفصل لا يحقق تطورًا متساويًا.

عام 1959 تحدث روبرت سوبوكو، رئيس المؤتمر الأفريقي بشأن انتظار الأفارقة الدعوة لاستعادة قارتهم، وحان الوقت للصراع المسلح. و" آزانيا" التي تخيلها قد لا تكون البلد متعددة الأعراق، ذات الأطوار المتباينة، من خلال الرأي الليبرالي للبيض في جنوب إفريقيا. وتجسدت المعارضة غير العنيفة في المستقبل المهني لألبرت لوتولي، الحائز على جائزة نوبل للسلام عام 1961. وبدأ حزب المؤتمر الأفريقي الوطني في برنامجه التخريبي.

نيلسون مانديلا، الحاصل على شهادة القانون، ذهب تحت الأرض وأسس جناح عسكري "رمح الأمة ". أعلنت الحكومة أن كلا المجلسين يعتبرا مؤسسات غير قانونية، استلزم الأمر قوى جديدة لاحتجاز المشتبه فيهم والتحقيق معهم. تم القبض على مانديلا في أغسطس عام 1962 وبعد محاكمته عام 1964 حكم عليه بالسجن المؤبد لاتهامه بالتخريب. وبدت فترة الصراع طويلة. كما منحت انتخابات عام 1966 عدد 126 مقعدًا للحزب الحاكم، و39 مقعدًا للحزب المتحد، ومقعدًا للتقدميين.

بدا فيرورد محققًا استقرارًا أثبتته الأغلبية من الناخبين البيض، فهذا الاستقرار كان محل شكٍ بعد اغتياله في سبتمبر عام 1966. بيد أن الانتقال الأفريقي في أواخر عام 1959 كان جزء من ضربة متعمدة للاحتفالات بمرور خمسين عامًا على اتحاد جنوب أفريقيا،

والمخطط له في عام 1960. شددت المظاهرات على أن الاتحاد لا يوحد كل الشعوب، فكيفية وصف شعوب المنطقة بات أمر محفوف بالتعقيدات اللغوية. هل يستطيع أي شخص التحدث عن انقسام السكان بين أبيض وغير أبيض أو أسود وغير أسود؟ وقد تعتبر بعض المجموعات نفسها أسئ تمثيلها، فما هي الأماكن التي تناسب الهنود والملونين؟ فلم يكن هناك جنوب أفريقيا واحدة، حيث أن كابتون لا تشبه جوهانسبرج ودوربان ليست بلومفونتين. لذلك ربما كانت الدولة مشهد من "الأوطان"؟ واعترف فيرورد على الملأ قبل عام من وقفاته أن السياسة التقليدية لحكم البيض في "بانتو"، والذين ليس لديهم الحق على الإطلاق ، لا يمكن أن تستمر. وبدا أن وجهة نظره تغيرت قليلًا. قد تنضم أراضي "المفوضية العليا" والتي تحيط بها جنوب أفريقيا ومازالت بريطانيا مسئولة عنها مثل سوايزلاند، وباسوتولاند. حتى أن جنوب غرب أفريقيا التي مازالت تحت إدارة بريتوريا المثيرة للجدل بموجب تفويض من عصبة الأمم المتحدة قد تنضم هي الأخرى. أما مشروع بانتوستان فتم إلغاءه فورًا. فأي أفريقي قبل دور العميل قد عرف بأنه جاسوسًا. وربما أصبح الاستقلال عار. ولم تكن المنافسة تعني أن تبقى خصمًا بين مجموعات مختلفة اللغة ولديها هوية قوية داخل المؤتمر الأفريقي، فقد تعقدت علاقات فيرورد بالمؤسسات. وفي أثناء محاكمة نيلسون مانديلا في ابريل عام 1964 في مرافعة رائعة جابت العالم كله، عبر مانديلا عن إيمانه بالمساواة في الحقوق السياسية في جنوب أفريقيا متعددة الأعراق، إلا أن تلك الكلمات ظلت تعني أشياء مختلفة لمختلف الشعوب. بيد أن العلماء السود المتخصصون في دراسة أفريقيا قد تحدثوا عام 1956 عن إعادة كل ما فقدوا نتيجة غزو البيض لأفريقيا. لم يكن مانديلا مجرد محاميًا حاصل على درجات علمية من جامعة ويتواترسراند فحسب بل كان عضوًا في القسم الخاص بالطلبة في البيت الملكي بجمهورية ترانسكاي.

هل كانت جنوب أفريقيا ديمقراطية، دون أن يؤدي السود أي دور، نظام أبيض يتم استبداله بآخر أسود، أم أن الديمقراطية نظام واحدًا عالميا للجميع الأبيض والأسود؟ والقضاء في جنوب أفريقيا عرض التزامًا جوهريًا لسيادة القانون.

أعلن مانديلا استعداده للموت في سبيل تحقيق ما آمن به، لكن الموت لم يكن مسموحًا، وكان من الممكن أن يقدر له تحت حكم أنظمة متعددة.

هل عادت كل من كوبا والبرتغال الأفريقية إلى اللغة الأصلية؟

انتشر صدى الوضع في أفريقيا عبر أوروبا وأمريكا، حتى أن المنظور العالمي بالولايات المتحدة كان لا يزال يعرف حكومة جنوب أفريقيا بوصفها معارض قوي للشيوعية. وظلت الحكومة تمارس الضغط على الأنشطة الشيوعية في جنوب أفريقيا، غير أن العلاقة بين الشيوعيين والبيض والسود كانت غامضة في حزب المؤتمر الأفريقي. بل كان هناك مجالًا واسعًا للتضليل. بيد أن أمريكا لم تكن لتعتبر جنوب أفريقيا شريكًا في الصراع العالمي. تحدثت "الحقوق السياسية المتساوية في بلد متعدد الأعراق" مباشرة إلى السياسة الداخلية بالولايات المتحدة الأمريكية. كما أضافت كوبا علاقات جديدة عبر القارات. في ديسمبر عام 1963 بدأ جيفارا الرفيق الغامض لكاسترو المولود في الأرجنتين رحلته من كوبا إلى أفريقا للحشد لقيام ثورة، وجدير بالذكر أن البيئة كانت خصبة لقيام هذه الثورة. وكانت هناك مجموعات صغيرة تقودها وحدات كوبية يمكنها حشد ثورة شعبية تستطيع هزيمة جيوشًا تدفعها القوى الاستعمارية أو الأنظمة الاستيطانية.

شهد ابريل من عام 1965 إبحار متطوعين من الجنود الكوبيين إلى تنزانيا، بيد أن الحملة التي تلتها كانت بقيادة بعض المرتزقة وانسحبت. وفي مشهد أخر للكارثة في كوبا نجد أن الجنود الكوبيين في برازفيل في منطقة الكونغو الفرنسية سابقًا لم تقدم ما كانت تنتظره القاعدة الثورية. وبعد مرور فترة وجيزة تطوع الكوبيون السود اللذين أبدوا استعدادًا لمساعدة الحركة الثورية تحت قيادة أميركال كابرال في غينيا بيساو البرتغالية.

وإذا كانت الثورة العالمية التي خرجت من الكاريبي متواضعة الأبعاد، على الأقل وقت ظهورها، فهناك سحر ما في كاسترو وجيفارا.

وإذا ما كانت كوبا تمثل بالفعل عبور القارات كنوع من البديل السوفيتي فهي نوع خاص. بيد أن البرتغال بينت ميلًا بسيطًا للإسراع بالخروج من أفريقيا مهما كان ما تفعله

بريطانيا وفرنسا. وبقي واضحًا في قيادة انتونيو سالزار (مواليد 1889) رئيس الوزراء، والحاكم الفعلي منذ عام 1932 أنه لا يبغي شيئًا من هذا العالم المتغير، وإعترف أن دولته في موزنبيق وأنجولا وغينيا لديهم المسئولية دائمًا لقيادة شعوبهم من التخلف إلى الحضارة. فوفقًا لمعايره لم يكن سوى نسبة ضئيلة كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الهدف. كان دور أنطونيو ساليزار حاكم البرتغال هامشيًا في "أوروبا الجديدة"، وضعتها مستعمراتها في وضع عالمي متواضع (شجعت الهجرة إليهم).

أما المباني التجارية والخاصة والتي تميزت بأناقتها ومدنيتها الموجودة في سيبورت العاصمة الموزمبيقية توجت بالجامعة الجديدة وبمجتمعاتها من البرتغاليين، والإسماعليين، والهنود من جوا، والصينيين من ماكاو اللذين تحدثوا عن "العالم البرتغالي" فضلًا عن العالم الأفريقي. إلا أن المدينة كانت تشبه المناطق النائية بشكل مخيف. وفي عام 1962 بدأت جبهة التحرير في موزنبيق حملتها بالبلد، وأرسل عدد من الجنود البرتغاليين لاحتواء الموقف كما أُرسلوا إلى أراضي برتغالية أخرى. وبدأ الإحساس بالكارثة يتعلق بكل مناطق جنوب أفريقيا في منتصف الستينيات. ولم تكن مصالح الأنظمة وتصورها للأمر في ساليسبوري وبريتوريا ولورانس ماركيس متشابه بيد أن الاتحاد على موقف واحد قد ينجيهم. لا يمكن وصف المشهد بأنه سلامًا كاملًا أو حربًا كاملة.

الوحدة الأفريقية: صوتًا واحدًا ولغاتٍ مختلفة؟

لم تظهر أفريقيا في السابق أي مدلولات على "الوحدة" إلا أن الخطاب المعاصر قد أكد أن الوحدة والاستقلال يتحققان معًا. ففي مايو من عام 1963 دعا هيل سيلاسي رؤساء الدول الإفريقية في أديس أبابا لعقد وحدة أفريقية، بهدف خلق منظمة واحدة. فقد شهدت السنوات القلية السابقة انبثاق دولًا هي في واقع الأمر كتل متنافسة ومنفصلة. ولم تلقى الدعوات التي وجهتها الإمبراطوريات إلى هؤلاء القادة الأصليين لهذه الدول لحضور مجموعة "كاسبلانكا" ترحيبًا بل كان الأمر مختلفًا. فالدول الاثنان وعشرون اللذين حضروا وافقوا على إنشاء منظمة للوحدة الأفريقية. ويوم القسم الرئاسي لم يكن به أي ترتيبات أمنية خاصة بل كأنه لقاءًا سنويًا لرؤساء الدول، أسست الأمانة وتحددت لجنة

لتسوية الخلافات وإذا لزم الأمر تنظر أمامها قضايا النزاع بين الدول. إلا أنه لم يكن من السهل تسوية الأمر مع وجود شرط عدم تدخل الأعضاء في الشئون الداخلية لبعضهم البعض، كما هو الحال في الأمم المتحدة. وظل التركيز الأكبر على إنهاء الاستعمار وجعل أفريقيا قوة مؤثرة في العلاقات العالمية. إلا أنها لم تكن مؤهلة لهذا. كان لابد من تحرير جنوبي ووسط أفريقيا، فقد وصلت أفريقيا إلى المسرح العالمي ولكنها غير مستعدة. وأصبح خلق صوت أفريقي أكثر صعوبة من تكوين منظمة. حتى أن لغات المستعمرين، الانجليزية والفرنسية، استمرت وسيلة الاتصال عبر بلدان مقسمة لغويًا. وأبقت هاتان اللغتان الاستعداد للاتصال مستمرًا بين أوروبا وشمال أمريكا. فلم تتواجد لغة واحدة لتعبر عن الصوت الإفريقي،ولا حتى صوت ديني موحد. فالإسلام والمسيحية تنافسا في دولة تلو الأخرى وقد يتفاهم الاثنان وأحيانًا يختلفان. فمن الجانب المسيحي سعى كل من مجلس الكنائس العالمي أو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لحوار الأديان. فمجلس كنيسة الفاتيكان الثاني (1963-65) عبر عن اهتمام الكنيسة المتزايد بالمسلمين حيث نادت بالتفاهم المتبادل والتغلب على عداء الماضي. ولم يسهل إيجاد مسلم رشيد يشارك في الحوار. والدول التي يعتنق سكانها المسيحية والإسلامية يتصاعد فيها الخلاف عندما تتطور الأمور إلى الموضوعات العرقية واللغوية. وعلى الرغم من مرور نيجيريا منذ لحظة استقلالها بتلك الصعوبات لكنها لم تكن الوحيدة، وكان يقترح أحيانًا أن تنقسم إرتريا إلى دولتين ويعيش المسلمون في السودان والمسيحيون في إثيوبيا بيد أن السودان كانت منقسمة بالفعل حيث عاش المسيحيون جنوبًا والمسلمون شمالًا. أما صلات القرابة القوية بين البروتوستات والكاثوليك كانت تهم في بعض الأحيان، وتعكس بقوة التوازن الديني لعودة قوة المستعمرة لموطنها. فتلك الواردات الأوروبية تفحص طريقها المُستقبلي. والمسيحية الأفريقية قد تكون شيئًا استوطن حديثًا. كان هناك ما يجب فعله فيما يتعلق بالعلاقات الإفريقية العادية، حيث بدأ الاتزان في عالم المسيحية يبدو وكأنه متغيرًا، وربما كانت المسيحية الأفريقية أكثر حيوية وديناميكية من المسيحية في أوروبا.

كما كان القادة الناشئين أيضًا مزدوجي الإرث ولهذا كانت أصواتهم معقدة، واختير

مثالين محددين لكن وضعهما كان متشابه عبر القارة. وأشير إلى المنصب المحوري لجوناتون كنياتا في كينيا في وقت سابق. فالرئيس الكيني عام 1964 لم يكن يعلم مسقط رأسه أو أين بالتحديد. ومن المحتمل أن يكون عام 1893 هو العام الذي أسست فيه بريطانيا "حكومة الوصايا على شرق أفريقيا". كان تلميذًا في المدرسة التبشيرية التابعة للكنيسة الاسكتلندية، واعتنق الديانة المسيحية عام 1914، وكان شعبه كيكويو الأكبر بين ثلاثة عشر قبيلة والتي أصبحت كينيا لاحقًا مكونة للمجموعة المركزية للدفاع عن حقوق الأراضي من الاستيطان البريطاني. وبوصفة الأمين العام ذهب إلى لندن عام 1929 ووعد أن يظل صادقًا لقبيلته، وألا يتزوج من امرأة بيضاء وأن يعود إلى موطنه. وشاهد في لندن الملك البريطاني يفتتح البرلمان. ولاحقًا بعد أن درس الاقتصاد في موسكو، قادته دراسته لعلم الإنسان في مدرسة الاقتصاد بلندن إلى نشر أطروحته تحت اسم "مواجهة جبل كينيا" عام 1938 والتي جذبت انتباه العديد. وعندما عاد كينياتا وطنه دون زوجته الانجليزية في ذلك الوقت عام 1946 كان قد قضى خمسة عشر عامًا خارج البلاد. بيد أنه ليس مفاجئة أن تُفسر خطواته بعد ذلك في طريق السلطة تفسيرًا مختلفًا.

أحمد بنبيلا ولد عام 1916 كان شخصية مختلفة لكن مازال وفي عام 1954 أسس وقاد جبهة التحرير الوطنية في الصراع المسلح ضد فرنسا في الجزائر، كان لاعب كرة قديم مرسيليا السابق وجندي فرنسي . أُلقي القبض عليه عام 1956 وقضى فترة في السجن الفرنسي مكنته من تطوير مبادئ اللغة العربية واكتشف الماركسية الحديثة. وبحلول عام 1962 اتفاقية إيفيان، ومع هؤلاء اللذين وافقوا على الشروط مع فرنسا دُفعوا جانبًا، كان خارج البلاد ما يقرب من عقدٍ. وبوصفه أول رئيس جمهورية لدولته صمم على عدم عودته إلى أي من الأصول الماضية قبل وصول فرنسا. كما أراد أن تكون الجزائر قلب الثورة وليس فقط في أفريقيا، مما جعله يدخل في صراعًا مع المغرب. وبعد مرور عامين خُلِع ونُفي من قبل الفصيل العسكري بقيادة هوراي بومدين من مواليد عام 1923. والتزم النظام تمامًا بمناهضة الاستعمار في إفريقيا وغيرها، غير أن الخطاب مازال متأثرًا بالصبغة الفرنسية. وتواجدت العديد من الألسنة والاختلافات الطفيفة خلف الأصوات الإفريقية.